

اللغة العربية

لغة للعلم ... والمصطلح

The Arabic language is the language of science and terminology

أ.د. شفيقة العلوي

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر)

chalaloui@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/10/01

تاريخ القبول: 2022/09/10

تاريخ الإرسال: 2022/08/08

الملخص:

نظرا للتطور الحاصل في ميادين العلوم بفعل الانفجار المعرفي ، وتشعب مصادر المعرفة في أواخر القرن 20، ظهرت مصطلحات علمية كثيرة بعضها عرف طريقة للعقول وطبقته التجارب المحسوسة، لتخرجه في صورة نظريات . والبعض ظل مهمشا...
فهل يمكن للعربية أن تغدو لغة علمية؟ وهل تملك مصطلحات علمية أولسانية تجعلها تواكب الزخم المعرفي المتجدد؟

الكلمات المفتاحية:

اللغة العربية العلمية؛ اللغة العربية والمصطلح؛ اللغة العربية والانفجار المعرفي؛ المصطلح العربي.

Résumé :

Vue l'énorme développement causé par l'explosion scientifique du 20^{ème} siècle, plusieurs termes scientifiques sont apparus dans le domaine de recherche scientifique, une partie d'eux a été pratiquée et l'autre- malheureusement- a été ignorée et abandonnée.

Aujourd'hui, on peut se pose la question suivant:

L'arabe pourra-t-elle être une langue scientifique ? Possède t-elle des termes scientifiques ou linguistiques qui reflètent les théories et s'adaptent avec les changements de connaissance renouvelables ?

Les mots clés :

La langue arabe scientifique; la langue arabe et le terme; la langue arabe et l'explosion des connaissances; le terme arabe.

مقدمة:

نظرا للتطور الرهيب الحاصل في ميادين العلوم بفعل الانفجار المعرفي، وتشعب مصادر المعرفة في أواخر القرن 20 خاصة؛ ظهرت مصطلحات علمية كثيرة، ومتنوعة بعضها عرف طريقه للأذهان، وتفاعلت معه العقول، وطبقته التجارب المحسوسة لتخرجه في صورة نظريات ... والبعض ظل مهمّشا، بعيدا عن متناول القارئ والناقد - على حد سواء - فهما، تجربيا وصناعة.

إن اللغة العربية لغة تليدة، واسعة في التاريخ البشري، وما يؤكد قدمها النصوص العربية المادية التي تعود إلى 2300 عام، وامتلاكها لأنظمة لغوية، صوتية، نحوية وبلاغية تجاوزت بذلك اللغات العربية التي لم يتكوّن نظامها اللساني إلا في القرنين 13 و 14 الميلاديين.

وعليه يمكن التساؤل بكل موضوعية:

هل يمكن للغة العربية أن تغدو لغة علمية، ترتدي ثوب العلوم، وتتقل المعارف المتخصصة بين الشعوب. وتعرف بالنظريات المتطورة، وتبرهن على الفرضيات المحتملة وتوائم بين المناهج المتباينة، وتؤلف بواسطة حروفها الكتب القيمة في مضمونها والعلمية في منهجها؟

وهل تملك لغة العرب مصطلحات علمية أولسانية تجعلها تواكب الزخم المعرفي المتجدد وتتقارب مع النظريات التي يطرحها الغرب في كل أونة؟

1- القيمة العلمية للغة العربية عبر التاريخ:

إنّ العلوم تتطوّر في كلّ حين. والشّعوب تتزايد والمعارف تتسارع. ولا أحد يشكّ في أنّ المصطلح هو مصبّ الذخيرة المعرفيّة للشّعوب، وعنوان انتصاراتها أو انكساراتها. وهو مفتاح العلوم، فإن شاع هيمنت الأمة و فرضت حضارتها جغرافيًا وإنسانيًا.

إنّ العربية كانت ولا تزال لغة العلم، نقلت أفكار علمائنا الأولين التي جابهوا بها الحضارة الغربيّة اللاتينيّة.

إنّ العربية تملك ما يؤهلها لأن تتميز بالعلميّة. فهي لغة دقيقة، متخصصة؛ ميزتها ببساطة التركيب ودقّة التعبير، وضوح المعنى والتعبير عن المحسوس، البعد عن الإبهام والغموض، موضوعيّة الفكر⁽¹⁾ والبعد عن السرد الأدبي المشحون بالخيال والتّمييق والتأويلات الانحرافيّة المتباينة.

لقد أثبت التاريخ الإنساني أنّ العربيّة كانت اللسان الذي ألف به فطحال العلماء العرب علومهم...

- فهذا أبو الأسود الدؤولي (ت 69 هـ) المشهور بالفصاحة يضع النظام النحويّ بالحروف العربيّة، فيحفظها من اللّحن.
- وهذا الخليل الفراهيدي (ت 170 هـ) يضع النظام المعجميّ الموسيقيّ للغة، ويرتب حروفها. ويحفظ الأنغام ويضبط الأوزان الشعريّة باللغة العربيّة.
- وهذا سيبويه (ت 180 هـ) يصوغ النظام النحويّ العربيّ، ويؤسّس لعلم الصّوت وعمره لم يتجاوز - آنذاك - 30 سنة بلغة عربيّة.
- وهذا الزمخشري (ت 538 هـ) من أكبر علماء التفسير، يؤلّف الكشاف الذي يعنى ببلاغة القرآن وتراكيب اللغة العربيّة. ويضع قاموس أساس البلاغة؛ وهو من أهمّ القواميس اللغويّة التي اخترنت الرّصيد المعجميّ العربيّ...

- وهذا ابن مالك (ت 672هـ) وابن منظور (ت 711هـ) صاحب لسان العرب أشهر المعاجم اللغوية العربية إلى يومنا هذا.
- وهذا ابن بطوطة الرحالة والمؤرخ (ت 1304 هـ) ألف كتابه (تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) واصفا مشاهداته، ومدونًا ملاحظاته عن المناطق التي زارها بلغة عربية فصيحة سامية. وقد ترجم كتابه هذا إلى اللغات الأوروبية (الانجليزية، الفرنسية والاسبانية).
- وهذا الكندي أبو إسحاق (ت 873هـ)⁽²⁾ الذي ألف في الفلسفة والكيمياء والفلك والفيزياء والطب والموسيقى. وكان أول من وضع طريقة لتحليل الشفرات. وأول من أدخل كلمة (موسيقى) للعربية.
- وهذا ابن ما سويه (ت 853هـ) أكبر الأطباء يعود إليه الفضل في اكتشاف أمراض العيون والجذام، وأول من كتب في الطب النفسي.
- وهذا ابن سينا (ت 980هـ)⁽³⁾ أول من كتب في الطب والطبيعات، حتى سمي "أبا الطب، الحديث"، واعتمدت دراساته وكتبه في كليات الطب في الجامعات الأوروبية حتى مطلع العصر الحديث؛ يقول أوسلور (oslor) "إن كتاب القانون عاش مدة أطول من أي كتاب آخر ككتاب مقدس أوجد في الطب"⁽⁴⁾.
- وهذا أبو بكر الرازي (ت 864هـ) أول من ابتكر صنع المرهم، وخبوط الجراحة وعلاج الحمى. وأول من قدم الوصف الدقيق لتشريح أعضاء الجسم.
- وهذا ابن الهيثم (ت 1040هـ) درس الضوء، وأثبت أنه ينتقل من الجسم إلى العين وليس العكس. وهو أول من شرح العين وبيّن وظائف كل جزء منها، ورصد الكواكب وصاغ نظرية حول حركتها وطبق الهندسة والأرقام لحل المشاكل الفلكية. كل هذه القضايا التي شغلته، وغيرها كثير، ألفه ابن الهيثم بلغة عربية علمية مشحونة بالاصطلاح.

2- اللغة العربية العلمية والتخصص:

إنّ اللغة العربية يمكنها - بلا ريب- أن تغدو لغة علمية متخصصة تعكس المعارف المحسوسة ، وتضبط المصطلحات المتخصصة ، وتذلل المفاهيم المعقدة بتجارب مادية تشخص الإشكال و تفكّ الشّفرات.

إنّ اللغة المتخصصة هي التي يجتمع حولها أهل الاختصاص ويتفقون عليها .⁽⁵⁾ إنها بسيطة، واضحة، غير معقدة، تميل للإيجاز وتتأى عن الحشو المطنب، والغموض المعقد، والغلوّ الفاحش، وتتخذ من الدقة أداة، ومن التفسير والتعليل والتقرير والوصف منهجا⁽⁶⁾، ومن البراهين وسيلة، ومن الإقناع هدفا. وقبل كلّ هذا، إنّها تخاطب الحواس، وتحتاج العقل وتقع الفرد (... إنّ اللغة العلمية تختار الوظيفي الدالّ المحقّق للهدف عن طريق التفكير العلمي... فهي تستدعي الدّخول للمخابر، والتزوّد بأحدث النظريات العلمية... واتّخاذ منهج التفكير العلمي)⁽⁷⁾.

فإذا كانت - إذا- لغة التّخصّص أو اللغة المتخصصة تتوخّى الدقة و الدلالة المباشرة من أجل ضبط المصطلحات العلمية- التّقنيّة ، ونسجها في صياغة واضحة بسيطة، تصف الظاهرة و تشخص عناصرها وأجزائها الداخليّة؛ فهذا يؤكّد بما لا يدع مجالا للريبة أنّ العربية لغة متخصصة، علمية، لكونها مكّنت- كما مرّ سابقا- أعلام العرب منذ القرن الأول للهجرة من تأمل الطواهر الطبيعيّة الفلكيّة، الرّياضيّة، الفلسفيّة واللّغويّة، الاجتهاد فيها، ثمّ صياغة نظريات أثبتت جدارتها، وتفوقها تاريخيا، وجعلت الغرب يعايش تجاربهم، ثمّ يبني حضارته الحديثة التكنولوجيّة على أنقاض ما نقله عن أعلام العرب العلماء القدامى...

(إنّ العرب أبناء الصّحراء استطاعوا إنقاذ الحضارة الإغريقيّة من الضياع والنسيان،... وتوصلوا إلى استخلاص العلم، حيث أغرقوا العالم من الصّين إلى بلاد الأندلس بعلومهم المختلفة التي اتّخذت من العربية لغة صهرت أفكارهم العلميّة)⁽⁸⁾.

إنّ اللغة العربيّة - وبناء على ما جاء أعلاه - تعدّ لغة علميّة بيد أن غروب شمس حضارتها في العصر الحديث وانفلات التكنولوجيا منها وتأخرها عن استيعاب الحقول المعرفيّة حال دون تمكّنها- أي اللغة العربيّة- اليوم من مواكبة الرقيّ العلميّ احتواء معارفه في مصطلحات تتجلبها البيئة العربيّة المحليّة.⁽⁹⁾

إنّ المصطلح العلميّ يمثّل بحقّ ثمرة تفاعل الشّعوب مع الحضارات . ولذا فإنّ النهوض به؛ ومن ثمّ النهوض بالثقافة والحضارة العربيّة لن يتمّ ولن يتحقّق إلا إذا تمّ استقراء المؤلّفات العلميّة التي ألفها العلماء العرب الأوّلون، والتعمّق في مدارستها والاستفادة من نظرياتها، وتوظيف مصطلحاتها القابلة لاحتواء الجديد. والتّقيب عن الشّروح والتّعليق المرتبطة بالمفهوم للتّدقيق في انتقاء المصطلح من مصادر اللغة؛ فبذلك قد يتمكّن من استخلاص مصطلحات وظيفيّة⁽¹⁰⁾ قابلة لأن تتعايش والمفاهيم المعرفيّة الحديثة في مختلف المجالات. ولا يكون ثمة لهث نحو المصطلح الأجنبيّ بتعريبه أو ترجمته⁽¹¹⁾، فتصاب- حينئذ أمتنا بالنّمزق ، وتغرق في القطيعة الجغرافيّة وكذا المعرفيّة⁽¹²⁾.

3- دلائل قدرة العربيّة على استيعاب العلوم والتّكيف مع المناهج الحديثة:

كثيرة هي الدّراسات التي تزخر بها المكتبات الحديثة، والتي تصبو إلى تأكيد تجذّر المصطلحات العربيّة في الثقافة الأوروبيّة الغربيّة. وسنقدّم هاهنا أمثلة توضّح وتبرهن على علميّة العربيّة وقدرتها على الانصهار والتكيف مع الحضارة التّكنولوجيّة؛ الأمر الذي جعلها تحافظ على وحدتها، ولا تنصدّع إلى لهجات متمزّقة تضعف نظامها اللّساني فتتغيّر ملامح أصواتها.

أ- تجذر العربية في المصطلحات الغربية:

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ ثمة كلمات عدّة أخذها الغرب عن علماء العرب القدامى⁽¹³⁾ في مجالات كثيرة متنوعة ، كالطبّ والصّوتيات، النّحو، الفلسفة والكيمياء إلخ. فأكثر من 250000 كلمة عربية انتقلت إلى اللغة الألمانية، الفرنسية والانجليزية بتحويل بعض حروفها⁽¹⁴⁾.

- ففي المجال العلميّ الرياضيّ نجد: مصطلح Achemy⁽¹⁵⁾. وهو العلم الذي يبحث في خواص الأشياء ، ويهتمّ بتحويل المعادن إلى أخرى نفيسة؛ هو تحويل لمصطلح الكيمياء.
- مصطلح Alcohol وهو السائل عديم اللون الناتج عن تخمر السكر محورّ بدوره عن الكحول.
- مصطلح Algebra وهو علم المعادلات الرّياضيّة محورّ عن الجبر العربيّ.
- مصطلح Amalgam وهو ما تمازج واتّحد حتى غدا كالواحد، مأخوذ من الملغم.
- مصطلح Anber مأخوذ من العنبر .
- وفي مجال الأشياء نجد ثمة مصطلحات عربية كثيرة وجدت لها استمرارا في الثقافة الأوروبية مثل:

- القطن ← Caton
- الكركم ← Curcuma
- الحلوى ← Halwa HALWA
- الكمون ← Cumin
- الطوب ← Adob
- سكر ← Sucre
- البسط ← Past
- عين ← OEil
- مخزن ← Magasin

هذه بعض من النماذج التي احتواها قاموس المورد؛ والتي تؤكد بما لا يدع مجالا للشك تجذر العربية في بعض المصطلحات الغربية اللاتينية.

ب- خصوصية المصطلح العربي:

لقد ثبت من خلال الدراسات الحديثة أنّ للمصطلح العربي ميزات تسمو به ؛ وتدعو إلى ضرورة الاهتمام من أجل أن يستعيد مكانته في عصر الثورة المعرفية، و يصبح قادرا على احتواء المفاهيم الجديدة.

2-1- مراعاة المعنى الوظيفي عند صياغة المصطلح:

إنّ في البيئة العربية مصطلحات صوتية دقيقة في مفهومها وصيغة بنائها واشتقاقها؛

- فالمحبس والمقطع⁽¹⁷⁾ أكثر مناسبة لمصطلح (le point d'articulation) من مصطلح المخرج، على اعتبار أنّ الصوت اللغوي لا يمكن سماعه وإدراكه في القوة السامعة (الجهاز العصبي الإدراكي) إلّا إذا تسرّب بعد زوال حبس / قطع الهواء في موضعه، وخروجه من الجهاز النطقي. فالمحبس والمقطع - إذاً - هما اللذان يمثلان العملية (حبس / قطع) المسؤولية عن حدوث الحرف الوظيفي الذي يؤدي معنى في الكلمة ، إذا ما استبدل بآخر، وليس المخرج (le point d' articulation). وهذا ما أكده ابن جني في القرن 4 هـ: (إنّ الحرف هواء يخرج مستطيلا أملس حتى يعرض له في الفم والحلق والشفنتين مقاطع تنثيه عن امتداده، فيسمّى الصوت أينما قطع حرفا)⁽¹⁸⁾. إنّ قطع الهواء ومنعه عن الجريان - بعد تسرّبه من الرئتين - بين عضوين من الجهاز الصوتي يؤدي إلى حبس الهواء ؛ فلا يسمع صوت، فإن زال الحبس (أي القطع)، جرى (أي الصوت)، وتحول إلى صوت لغوي / فونيم أو كما سماه علماءنا الأولون حرفا.

- الوتران الصوتيان: تكاد الكتب الحديثة تجمع على أن (Les cordes vocales) المسؤولة عن إكساب الهواء في القناة الصوتية لصفتي الجهر أو الهمس حبلان صوتيان. وهذا بجانب للحقيقة العلمية التي تنبّه إليها ابن سينا (ت 980هـ) في رسالته أسباب حدوث الحروف أو كتابه القانون . فقد أدرك - أي ابن سينا - أنّ ثمة عضوين داخل القناة الصوتية رفيعين، دقيقين لا يتعدى سمكهما 2 ملم هما المسؤولان فعلا عن تحويل الهواء المتدفق من الرئتين إلى صوت ساذج مجهور أو مهموس تلتقطه الأذن السامعة . وهما من الرفاعة والرقّة⁽¹⁹⁾ ما يجعلهما قادرين على الاهتزاز بمجرد احتكاكها بالهواء الداخلي ؛ فلو كانا غليظين، صليين كالحبل لعجزا عن التذبذب والاهتزاز . فلا يتحقق الصوت والصوت اللغوي - على حدّ سواء -

وعليه، يصبح مصطلح: (الوتران الصوتيان) أكثر دقة من مصطلح الصوتين لمناسبته لحالة العضوين ، و وظيفتهما الفيزيولوجية أثناء العملية النطقية.

2-2- الاختصار في بناء المصطلح العربي:

إنّ للمصطلح خاصية تميّزه ، وهي الاختصار في بنيته الصوتية . فكلما "هاتف" أكثر ملائمة لمصطلح (telephone) بسبب بنائها الصّرفي (اسم فاعل) الذي يوافق الاشتقاق العربيّ الدّال على الذات المنجزة للحدث، والمحققة للوظيفة التواصلية التي يفعلها هذا الجهاز اللاسلكي، وكلما "مبرد" أنسب لترجمة مصطلح (Le climatiseur) وأدقّ من كلمة (المكيّف الهوائي) الذي يباينها طولاً وتركيباً. ولا ينسجم مع الميزان الصّرفي العربيّ للفعل المزيد (برّد) الذي يشترط أن يكون اسم فاعله المتضمّن لوظيفة التبريد موافقا لصيغة (مفعّل: مبرّد).

فالمصطلح العربي - إذاً - واضح في معناه، بعيد عن الإبهام والغموض موحد المعنى، ومجانِب للدلالات المتعددة التي تغرقه في الاضطراب، والفوضى المفهومية، بخلاف المصطلح الأجنبي.

وإنّ هذا لا يعدّ دعوة صريحة للارتقاء في حُضن مصطلحات التّراث العربيّ القديمة التي وضعها الأوّلون. فمثل هذا النهج سيؤدي حتماً إلى ما تعرفه - اليوم - الأمة العربيّة من ضعف وانكسار وتقزّم معرفي، صيرها في ذيل الشّعوب المتطوّرة.

إنّنا ندعو إلى ضرورة إحياء المصطلح العربيّ التّراثي، وتفعيل بنائه وتجديد مفهومه حتى يتهيأ لاستيعاب المفاهيم المنتجة حديثاً، والمتغيرة بتغيّر السياق الاجتماعيّ والثّقافيّ الحضاريّ (فالضرورة تستدعي توسيع آفاق اللّغة لاستيعاب التّقدّم العلميّ)⁽²⁰⁾، وهذا لن يتمّ إلا بانتهاج سياسة لغويّة تحرص على ترسيخ الأمن اللّغويّ للشّعوب، وتوثيق اللّسان العربيّ الفصيح، وشيوع تداوله بين النّاطقين، وبذلك لا تظلّ العربيّة عاجزة، معوّقة.

الهوامش:

- 1- صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية ، دار هومة ، 2003، ص16.
- 2- أعلام العرب للزركلي خير الدين، دارالعلم للملايين القاهرة ، ط 2002، ج 2- ج4.
- 3- ينظر: www.wikipedia.org
- 4- من كتاب شمس العرب تسطع على الغرب: زيغريد هونكة، ترجمة فاروق بيبزون، كمال دسوقي، دار صادر، الآفاق الجديدة بيروت، 2002، ط10، ص 153.
- 5- المصطلح عند رفاة الطهطاوي: إيمان سعيد بلال القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2005، ص40، وأيضا، علم المصطلح مبادئ وتقنيات، ماري كلود روم، بيروت المنظمة العربية للترجمة و النشر، ط1، 2012، ص20.
- 6- صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، ص38، و أيضا مجلة التراث العربي، سوريا، عدد 43، سنة 1991، ص146.
- 7- المرجع السابق: اللغة العربية العلمية ص41.
- 8- من كتاب شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ص56 وما بعدها.
- 9- عبد الصبور شاهين: العربية لغة العلوم، دار الاعتصام السعودية 1987، ص70.
- 10- جواد حسني: المصطلحية العربية بين القديم والحديث الرباط، 1998، ص456.
- 11- علي توفيق الحمد: المصطلح العربي شروطه وتوحيده ، مجلة جامعة الخليل للبحوث، جامعة اليرموك، مجلة 2، 2005، الأردن، ص10.
- 12- عبد العظيم الديب : نحو خطة واعية لإحياء التراث الإسلامي، دار التراث، مصر، د.ت، ص 22. وأيضا: محمود فهمي مجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح دار غريب، القاهرة، د.ت، ص14-17.

- 13- أحمد رفعت الكشميري: الجذور العربية للمصطلحات الطبية، جامعة الزقازيق مصر، 2006، ص 26 وما بعدها.
- 14- ينظر: كتاب: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق ببيضون وكمال دسوقي، دار صادر بيروت، ص 107-118.
- 15- ينظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية القاهرة، 2000، ص 105 وما بعدها.
- 16- تراجع أمثلة أخرى من قاموس المورد: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 2000، وأيضا: أحمد رفعت الكشميري، الجذور العربية للمصطلحات الطبية، ص 117 - 120.
- 17- هما مصطلحان عربيان الأول وضعه ابن سينا ، والثاني ابن جني ليرادفا المخرج (Le Point D'articulation) أي موضع النطق بالحرف، ينظر: - على التوالي- ابن سينا رسالة أسباب حدوث الحروف ، ص30. وابن جني: سر صناعة الإعراب ، تحقيق علي النجار، ص 4-6.
- 18- ابن جني: سر صناعة الإعراب ص4.
- 19- حول مفهوم الوتر لغة ينظر ابن منظور: لسان العرب دار العلم للملايين، المجلد10.
- 20- محمود فهمي: حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص19، و أيضا، علي القاسمي: مقدمة في علم مصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، لبنان، 2008، ص197.
- 21- صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، ص49 - 50.